

الان بدأ الفلاحون يعلمونه... ما لم يتعلمه في المدرسة ، ما لم يتعلمه في الكتاب ،
وغوق اللوح الاسود... كان يسمعونهم يتحدثون وهم يتأوهون عن ايام زمان... حينما
كان الباعة في أسواق بئر السبع وغزة ويافا... يصيحون... وهم يرفعون عناقيد
العنب الذهبية في أيديهم ويصيحون :

— يا عنب الخليل... يا عنب...

كانت بئر السبع على مرمى عنقود من العنب ، وكانت يافا على مرمى عنقودين...
وكانت غزة على مرمى ثلاثة عناقيد... اما الان... اما الان...

كان يحس بصراخ دماء الفلاحين... وكانهم كانوا ينادون على بئر السبع وغزة
ويافا...

ولاول مرة بدأ « باجس أبو عطوان » يحب الجغرافيا ، فكان حينما يمضي السى
بيته ، في خربة العقبة ، كان يفتح المصور الجغرافي... على خارطة فلسطين...
ويضع أصبعه على يافا وبئر السبع... وغزة... وعرف لأول مرة ، مأساة الفلاحين
الجغرافية... انهم لا يستطيعون ان يقفزوا في الهواء... لكي يصلوا... الى تلك
المدن ، التي كانوا يصلون اليها « بالباصات » او « التركات » ، او حتى ظهور
الحمير...

ان عنقود العنب ، ليس هو بساط الريح...

أجل يا باجس أبو عطوان ، ليس هو بساط الريح ، وليس هو طائر الرخ...
وعليك ان تبدأ البحث... عن وسيلة جديدة للاتصال...

ها قد بدأ الفلاحون ، يعلمونه دروس الجغرافيا... وبدأ « باجس أبو عطوان » ،
يحب الخارطة... وبدأ يكتشف أشياء جديدة...

طول ايام الدراسة ، كان يقرأ ، ان القدس ، هي عاصمة فلسطين... اما الان
فقد أصبحت عمان هي العاصمة... وفوق الخارطة... امتد خط أسود... أكثر
سموآدا من جناح الغراب... وبواسطة ذلك الخط... لم تعد القدس في خارطة
فلسطين... لقد أصبحت في خارطة ذلك الشيء الذي اسمه : المملكة الاردنية
الهاشمية...

— كيف حدث هذا...؟

ان الكتب التي بين يديه ، لا تقول له كيف حدث هذا...؟ لا الكتب المدرسية ولا
الخارطة... تستطيع ان تقول له ، كيف تحولت القدس ، من مدينة من الدرجة
الاولى ، الى مدينة من الدرجة الثانية...؟

أين تعثر على الجواب ، يا « باجس أبو عطوان »...؟

وظل يسأل نفسه... الى ان جاء يوم... ، وأجابه على سؤاله... احد رعاة
الغنم... فاحساس ذلك الراعي بالأرض وبجغرافية الأرض ، كان مثل احساسه
كانت المراعي تمتد امامه... وكان اينما ترمى العشب... كان يمضي اليه... اما
الان... فهناك للمرة الثانية ، تم رسم ذلك الخط الاسود... فوق الأرض ، كما
تم رسمه فوق الخارطة...

كان راعي الغنم... صديق « باجس أبو عطوان » ، وصديق كل التلامذة... في
القرى والخراب... وكان حلم حياته... ان يتمكن ذات يوم ، من شراء « راديو